الفصل الثامن
أمثلة لحالات مرضية
تم لها الشفاء بالعلاج

مقدمة:

إنى أقدم فى هذا الكتاب عرضا لبعض الحالات المرضية التى تصيب أبناءنا نفسيًا، نتيجة لأخطاء تربوية يرتكبها الأهل فى تنشئتهم، فتترسب آثارها فى قرارة العقل الباطن، وتظل تكبر بمضى الوقت إلى أن تنفجر فى أشكال متعددة مدمرة بصورة أعراض نفسية..

وقد أخذت هذه القصص - الحالات النفسية التى قابلتنى أثناء ممارستى لمهنتى كطبيبة نفسية للأطفال - كى أوضح للوالدين أن الاضطرابات النفسية لأبنائهم، مصدرها الظروف البيئية التى يعيشون فيها، وأن الوالدين هم أبطالها الحقيقيون، حيث يرتكبون أخطاء تربوية دون تعمد فيكون لها أشد الأثر على حياة أبنائهم مستقبلا..

وأطفال هذه القصص جاءوا من مسارات مختلفة: فيهم الفقير، وفيهم الغنى، فيهم المتعلم والجاهل، والمتدين والملحد.. الخ.

لكن قصصهم كلها تُعتبر صرخات طفولة بائسة محرومة من حقها من الحب والحنان.. تشردت بعيدًا عن الطريق السوى..

ولكن العلاج النفسى نجح إلى حد كبير فى تعديل السلوك المنحرف، وساعد على القضاء على الثورات الناشئة بين طبقات عقلهم الباطن، فزالت الصراعات وتغيرت حياتهم إلى حياة طبيعية متوازنة.. بعد أن أدرك الآباء الطريق الصحيح الذى يوفر الصحة النفسية لأبنائهم، وتجنب كل ما يدمرهم نفسيًا..

(١) ابنى يبلل فراشه ليلا

جاءت الأم تشكو من أن ابنها «وائل» البالغ من العمر اثنى عشر عاما، **يبلل فراشه كل ليلة**.. وكانت الأم فى حوالى الثلاثين من عمرها، يبدو عليها القلق والاضطراب.. وأوضحت الأم أن الفتى كان بالإضافة إلى ابتلال الفراش ليلا كان: عنيدًا، **عصبيا لأتفه الأسباب**، غير مطيع، يميل إلى الشجار مع الآخرين الذى يصل أحيانا **إلى الأذى**..

وبدراسة الحالة تبين أن الحالة الصحية للفتى طيبة وخالية من جميع الأمراض الجسمية، وأن هذه الأعراض المذكورة بدأت فى الظهور بعد وفاة والده الذى كان متعلقًا به ويجيب له كل طلباته ويسعى إلى راحته..

وبعد وفاة الوالد حدث **هبوط شديد فى مستوى موارد الأسرة** مما اضطر الأم أن تأخذ ابنها وتعيش مع والديها فى مسكنها الضيق.. وبعد فترة قصيرة تضايقت الجدة من سلوك «وائل» لميله إلى الحركة الزائدة، والصياح، والعناد. فكان يعامل أمه بالقسوة والضرب والإهانة. وكذلك كانت معاملة الأم له بنفس الأسلوب..

وبهذا أصبح مركز «وائل» فى مجال **حياته ينتقل من سيئ إلى أسوأ**، ولم يجد من الحب والحنان الذى يعوضه عن فقد أبيه، بل بالعكس وجد منهما حقدا وكرها على حد تعبيره.. فازداد فى مخاوفه، وكان أثناء نومه يصرخ ويبكى، أى كان نومه مصحوبا بكابوس شديد، يجعله فى حالة فزع كل ليلة. الأمر الذى كان يؤدى إلى ابتلال الفراش ليلا.

كانت فرصة **علاج «وائل»** وسيلة أيضا **لعلاج الأم** التى كانت فى حالة نفسية مضطربة للظروف القاسية التى كانت تعانى منها بعد وفاة زوجها، وسوء الحالة المالية، وحالة ابنها النفسية المضطربة غير المستقرة، وقسوة والدتها على وائل بصورة مبالغ فيها.. الخ.

وبانتظام العلاج والمتابعة: لكل من الأم والابن أمكن مساعدة وائل على الشفاء من التبول اللاإرادى وإعادة ثقته بنفسه فى الدراسة بعد أن كان متعثرا فيها.. وأصبحت الأم نفسيًا مستقرة وبدأت تعامل وائل معاملة طيبة بعيدة عن القسوة والعنف.

مما سبق: نرى أن التبول اللاإرادى الليلى.. أحد أعراض الاضطراب النفسى عند الأطفال وينشا نتيجة ظروف بيئية وأسرية غير ملائمة من حيث سوء المعاملة، وعدم تقدير لمشاعر الطفل، وحرمانه من الحب الذى يعتبر الغذاء النفسى للطفل.

فإذا توفرت للطفل:

البيئة الهادئة البعيدة عن الخلافات، وسوء المعاملة شعر بالأمن والاستقرار ولا شك أن الحب والحنان يعتبران من الأعمدة الأساسية الهامة لتكوين شخصية متزنة بعيدة عن القلق، والخوف، والعدوانية، والعنف، مما يساعد الطفل على النضج الانفعالى. فينشأ متعاونا، محبا لأسرته ولوطنه، بعيدًا عن أعراض الاضطراب النفسى.. الخ.

(٢) ابنى قَلِقٌ

جاءت الأم تشكو من حالة ابنها «باسم» البالغ من العمر **عشر سنوات**، حيث كان شديد العصبية - عنيدًا - سريع الانفعال - عدوانيا مع أخوته، الأمر الذى أدى إلى عدم قدرته على التحصيل الدراسى.. كان ذلك فى العام الماضى.. وزادت حالته سوءًا هذا العام يضاف إلى ذلك أن (باسم) كان فى طفولته حساسًا، خجولاً، لا يميل إلى الألعاب العنيفة. كان يميل إلى قضاء معظم وقته فى القراءة -

سريع البكاء - قلقا دائمًا - يشكو دائما من الصداع وآلام المعدة. حساسا للضوضاء بطريقة مبالغ فيها.

أما الأعراض الحالية:

فهو عصبى، **حاد المزاج، متوتر دائما، سريع الانفعال** تنتابه أحيانا **نوبات بكاء بدون سبب واضح، فقد الثقة** بنفسه لدرجة أنه لا يستطيع إنجاز أى شىء، **غير قادر على التركيز فى الدراسة، كثير الغياب عن المدرسة.. يبكى أحيانا** بصورة هستيرية.. **نومه مضطرب.** يقضى معظم الوقت فى الليل مستيقظًا، **تدهور مستواه الدراسى.**

وبدراسة حالته تبين:

● أنه كان يعيش بين والدين غير مثقفين دائمى الخلافات والغضب وعدم التقدير لمشاعر الأبناء.

● كانت الوالدة عصبية المزاج لعدم توافقها الزوجى فكانت تصب جام غضبها على ابنها (باسم) بسبب تأخره الدراسى.. وعدم التزامه بالدراسة..

● شكوى «باسم» من سوء المعاملة والعنف الذى كان يعانيه من الوالدين بالضرب والعنف والقسوة وعدم التفاهم..

● سوء معاملته من المدرسين الذين كانوا يعاقبونه بالضرب المبرح فأصبح كارهًا للمدرسين والدراسة.

مما سبق نرى أن هذا الابن كان يعانى من:

حساسية مفرطة، وضغوط نفسية شديدة فى الأسرة والمدرسة، ومن سوء معاملة فى البيئتين دون أن يجد من يستطيع أن يقدر مشاعره وحساسيته على التخلص من الإحساس بالقلق، والخوف والاكتئاب الأمر الذى أدى إلى عدم قدرته على المواظبة فى الدراسة.

تم علاج «باسم»:

بالجلسات النفسية، وبعض الأدوية المهدئة لقلقه، وتوجيه الوالدين إلى كيفية معاملته بالتشجيع والمديح، وتجنب العنف والقسوة، والتوصية للمدرسين بتشجيعه وتجنب ضربه.

وبعد فترة قصيرة من العلاج: أصبح باسم فى حالة نفسية مستقرة، قادرًا على الانتظام فى الدراسة واختفت أعراض القلق والخوف والتوتر..

(٣) ابنى .. مكتئب

الأطفال الذين يتميزون بالهدوء والوداعة يتعرضون غالبًا للإصابة بالاكتئاب وهو شائع الظهور بين أطفال المدارس.. ويمكن أن نلمسه من خلال شكواهم بأنهم يشعرون بوعكة صحية بدون أسباب طبيعية واضحة: **كالصداع.. وآلام البطن.. وفقدان الشهية..** الخ.

جاءت الأم تشكو وتطلب علاج ابنها البالغ من العمر **ثلاثة عشر عامًا**، ظهرت عليه الأعراض فى صورة: نوبات بكاء، إحساس بالاختناق، والأرق، وفقدان الشهيَّة، وعدم القدرة على التركيز، الأمر الذى أدى إلى تأخره الدراسى، وشكوى المدرسين من عدم تركيزه.

وبدراسة الحالة تبين: أن هذا الابن هو الوحيد لزوجين يختلفان تمامًا فى الشخصية والنظرة إلى الحياة، وفى التنشئة النفسية للأبناء..

● **كان الوالد رجل أعمال** له اتصالات واسعة بحكم وظيفته التى كانت تستدعى السفر بعيدًا عن بيته فى أحيان كثيرة يعود بعدها إلى بيته حيث كان لا يشعر بالراحة والاستقرار فيه.

● **كانت الوالدة: معلمة مسيطرة**، فَجعت بعد زواجها، فى تفضيل زوجها للوظيفة التى تبعده معظم الوقت عن أسرته، كانت تستبد به، وتمحو شخصيته.. الأمر الذى دفع به إلى تمسكه بهذه الوظيفة التى تبعده عن البيت وتريحه من سيطرة زوجته معظم الوقت.

● **ولد** «سمير» فى هذا البيت، حيث الجو **غير متوازن بين الوالدين**، والجو الأسرى المشحون دائما بالخلافات، وافتقاد وجود الأب معظم الوقت فى الأسرة، وسيطرة الأم على تصرفات الابن بصورة قاسية.

كان «سمير»، يبذل **جهدًا شاقًا** في المدرسة كي يتغلب على صراعاته النفسية ويستطيع التركيز في الدراسة.. فكان المدرسون يشهدون له **بالتفوق وحسن السلوك**..

ومع ذلك بدأت أعراض الاكتئاب النفسي تظهر عند **بدء سن المراهقة** في صورة الشكاوى المختلفة التي كانت السبب المباشر لالتجاء والدته لعلاجه.

اتجهت في علاج هذا الابن:

- **بالجلسات النفسية** لمساعدته على التغلب على صراعاته النفسية.
- وكذلك ببعض **الأدوية** المضادة للاكتئاب.
- **توجيه الوالدين** بتجنب الخلافات بينهما، ومنح الابن التشجيع والحب والحنان.

وبعد فترة قصيرة من العلاج تم شفاء الابن من الاكتئاب النفسي. وتفوق في دراسته.

(٤) ابني .. مُخَرِّب

طفل عمره أربع سنوات ونصف لجأ مرتين إلى **قص شعر أخته** التي تصغره بعام واحد.

وكان **دائم الكتابة على جدران المنزل**، وكذلك تكسير لعبه بطريقة عدوانية. وكان دائمًا ينكر أنه يأتي بهذه الأفعال، ولكن بعد

الملاينة والتحايل، كان يعترف وكانت الأم دائمًا فى كل مرة تضربه ضربًا شديدًا، وتحرمه من الخروج من المنزل يومًا أو يومين.

كانت نتيجة القسوة وعقاب الطفل بهذه الطريقة أن جاءت بصورة عكسية، فكان يكرر هذا السلوك بل وأسوأ منه.. وقد وصفته الأم بأنه طفل عصبى، متوتر دائمًا، عنيد، وكثير الاعتداء على أخته بالضرب.. الخ.

الواقع أن سبب عدم تكيف هذا الطفل وتكرار سلوكه المخرّب يرجع إلى الأسلوب الخاطئ الذى تتبعه معه الأم فى كل مرة.. فقد كانت الأم تؤمن بتربية الطفل بقضيب من حديد: ولذلك كانت قاسية معه ومع أخته.. وكانت هى تعانى من القلق النفسى، والشعور بالنقص، وكانت حريصة لدرجة مبالغ فيها أن ينشأ أولادها نشأة صالحة، وكانت تعتقد أن أسلوب الحزم والشدة والقسوة هو الأسلوب الصحيح.

التعليق والعلاج :

الطفل الذى يقص شعر أخته ويكتب على جدران المنزل، يفعل ذلك لافتقاره إلى وسائل أفضل تشغله وتساعده على التجريب..

فمنذ أن اكتشفت الأم ذلك، كان يمكنها بأسلوب كله عطف وحب أن تنبهه وتقدم له مقصًا ومجموعة من ورق الجرائد وتعلمه كيف يقص الورق، وتوجهه بأن يقص الصور الموجودة فى الجرائد

مثلاً.. كما كان يجب أن تقدم له سبورة وطباشير يكتب عليها بدلا من الكتابة على جدران المنزل.. وتستميله لأن يحافظ على منزله نظيفًا جميلاً.

كما كان يجب أن تساعد الطفل دائما على أن يشغل وقته إما فى ألعاب مسلية تزيد من خبراته أو فى ناد مع أقرانه من سنه أو فى مساعدتها فى الأعمال المنزلية، بحيث تستنفذ طاقته الزائدة، وتساعده على اكتساب الخبرات التى تشبع حب الاستطلاع..

وتم توجيه الأم بالوسائل السابقة لمساعدته على الإقلاع عن السلوكيات الخاطئة.

فقامت الأم بتنفيذ ذلك.. وبذلك أمكن للطفل التخلص من السلوكيات الخاطئة..

وأخيرا :

فإن العقاب وسيلة لزيادة عناد الطفل، واستمراره فى سلوك الإتلاف والتخريب.

وإن استعمال الأسلوب النفسى فى إشباع الحاجات النفسية للطفل، وإشباع الميل إلى المعرفة.. ولاستنفاذ الطاقة والنشاط الزائد بأسلوب نافع هما الطريق السليم لوضع حد للتمرين ولإكتساب المعرفة للطفل.

(٥) ابنى .. يسرق

جاء الأب يشكو من سلوك ابنه البالغ من العمر عشر سنوات الذى ظهر فى صورة متكررة للسرقة.. كان فى طفولته المبكرة يسرق النقود والمفاتيح ليخفيها فى مكان ما.. ثم بعد فترة من البحث يظهرها بمعرفته مدعيًا أنه وجدها بعد بحث طويل وأخيرا، تكررت سرقته للنقود وإخفاؤها أو شراء اللعب بها وهو ليس فى حاجة إليها.. حيث إنه كان لديه الكثير من اللعب، بل أحيانا يشترى لعبًا مكررة لتكسير بعضها.

تألم الأب كثيرا لهذا السلوك غير السوى، وقد كان الطفل ينكر فعله هذا ومع الضغط والتهديد كان يعترف.. كان الأب حريصًا على ألا يعاقبه، ولما تكررت السرقات جاء للاستشارة الطبية النفسية والعلاج.

وبدراسة الحالة: تبين أنه الطفل الأول من طفلين - أخته تصغره بخمس سنوات - عاش طفولته الأولى بين والدين لا يدركان شيئا عن أصول التنشئة النفسية للطفل، ولا يشعران بأحاسيس الطفولة واحتياجاتها.. كلٌ يذهب إلى عمله فى الصباح تاركين الأطفال فى رعاية الخادمة الخاصة التى ليس لها أية معرفة بتنشئة الأطفال، ثم يعودان مرهقين ويسقطان متاعبهما على الطفل البرىء

الذى قضى يومًا شاقًا مشحونا بالتوترات النفسية، وسوء المعاملة من الخادمة، يضاف إلى ذلك شكواها إلى الوالدين من سلوكه فى غيابهما..

كان يعانى من القسوة والعقاب وسوء المعاملة من الأم بعد شكوى الخادمة، وكذلك كانت تقوم بضربه أثناء تدريسها له، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى البكاء والصراخ ورفضه استكمال الواجب، فيؤدى إلى زيادة عصبية الأم وتماديها فى عقابه وضربه.. وتستمر هذه الدائرة المفرغة، لا يوقفها إلا مجيء الأب من عمله وتدخله، ويحاول تخفيف حِدَّة التوتر القائمة بين الأم وابنها.

كان الطفل يعانى أيضًا من سوء معاملة المدرسات فى المدرسة بتوصية من الأم. فأصبح يكره عمل الواجب، والمدرسة، والمدرسات. لارتباطهما بالقسوة فى المعاملة.

وهكذا عاش الطفل فى صراعات نفسية مستمرة بين الخادمة والأم والأب والمدرسات فى المدرسة.. الأمر الذى أدى إلى زيادة الضغط النفسى والصراعات الداخلية التى كانت تظهر أيضًا بصورة فزع ليلى وصراخ..

يضاف إلى ذلك، أن الأم كانت تعامل أخته معاملة تختلف تمامًا عنه، وتلبى لها كل طلباتها، وتتجنب عقابها. بل كانت تقسو فى معاملة أخيها بسببها.. هكذا شعر الابن بالغيرة والحقد

على أخته دون أن يظهر ذلك، بل كان يبدو ذلـك فـى وقـت بكائـه وغضبه..

العلاج والشفاء:

قمت بعلاج هذا الطفل، **بالجلسات النفسية** وبعض الأدوية التـى تساعد على تخفيف الضغوط والتوتـرات النفسـية.. يضـاف إلى ذلـك **التوجيـه النفسـى للوالديـن** وأوضحـت لهما الأخطـاء التربويـة فـى أسلوبهما فى التعامل مع الطفـل.. والتـى فجـرت أخـيرًا فـى صـورة اتجاهه للسرقة..

وبعد فترة قصيرة من العلاج.. حيث اتجه الوالـدان إلى تصحيـح أخطائهما فى أسلوب تنشئته، ومحاولة تعويض ما افتقده مـن حـب وحنان، وكذلك توصية المدرسات بتشجيعه بدلا من عقابه وتعذيبه..

بدأ يظهر تفوقًا ملحوظًا فى دراسته، وتوقف عن اتجاه السرقة، وأخـيرًا نجـح فـى نهايـة العـام بتفـوق.. الأمـر الـذى أسـعد والديـه ومدرساته بالمدرسة..

مما سبق من دراسة هذه الحالـة **نجـد أنه إذا شـعر الطفـل بأنـه مقبول فى بيئته ويلقى الحب والحنان والتشجيع مـن المحيطـين، فإنه يشعر بالاطمئنان والأمـن والاسـتقرار والهـدوء النفسـى الـذى يساعده على النجاح والتفـوق ويبعـــده عــن الانحــراف حاليًــا ومستقبلا.**

(٦) ابنتى غيورة .. ومشاكسة

الغيرة أحد المشاعر الطبيعية الموجودة عند الإنسان كالحب والألم، ويجب أن تقبلها الأسرة كحقيقة واقعة، ولا تسمح فى نفس الوقت بنموها، فالقليل من الغيرة يفيد الطفل، فهى حافز يحثه على التفوق، ولكن الكثير منها يفسد الحياة، ويصيب الشخصية بضرر بالغ، ويكون التعبير عنها بطرق متعددة من السلوك غير الطبيعى..

وفيما يلى تأثير الغيرة على سلوك (مها) وكيف أصبحت مشاكسة:

حضر الوالدان إلى عيادتى، ومعهما ابنتهما (مَهَا) البالغة من العمر أربعة عشر عامًا لعلاجها من سلوكيات غير سوية، وكانت الشكوى منها أنها قلقة، مترددة، **غير قادرة على التفكير للمستقبل، عنيدة، غير مطيعة، دائمة الشجار مع أختها** الصغرى لدرجة الأذى فى بعض الأحيان.. **والسب بألفاظ نابية**.. يضاف إلى ذلك أنها **متأخرة فى دراستها، وغير متجاوبة مع مدرسيها** الذين يبالغون فى عقابها كى يستقيم أمرها حسب اعتقادهم..

وبدراسة الحالة تبين:

أن «مها» كانت الطفلة الأولى لزوجين يعملان فى حقل التربية والتعليم. يؤمنان بأنهما على وعى بأصول التربية النفسية لأطفالهما.. كانت «مها» فى السنتين الأوليين.. الطفلة المدللة المحبوبة من والديها، طلباتها مجابة.. يغرقان عليها الحب والعطف بدون حدود إلى أن جاءت الطفلة الثانية.. كانت أكثر جمالا وألفه من «مها» ، فاستحوذت على قلب والديها.. ولم تترك بقلبهما مكانا ولو صغيرًا للأخت الكبرى التى ظلت إلى حين قرة عين والديها..

وبمرور السنين زاد حقد «مها» على أختها ولاسيما أن الوالدين كانا دائما يقارنان بين الاثنتين ويذكران عيوب «مها» التى تسبب لهما المتاعب.. هكذا ثبطت صحة «مها» ، وتراخت فى دراستها وتقدمت الابنة الصغرى فى دراستها.. وكلما زادت الموازنة بين الأختين زادت «مها» تألما وزاد حقدها على أختها، ويزداد الشجار والخلاف بينهما الذى يؤدى فى النهاية إلى مهاجمة «مها» وإنزال أشد العقاب بها من والدتها..

واستمرت «مها» فى هذا الجو غير الصحى نفسيًا، وتصورت بأنها لم يعد مرغوبًا فيها، وأنهم جميعًا تحولوا إلى أعداء، فأغراها ذلك الموقف بالتمرد وعصيان أوامر أمها على سبيل الانتقام لنفسها من الأم التى هجرتها وأغلقت أبواب قلبها عنها.. وزادت فى القسوة عليها..

كان سلوك «مها» فى المدرسة غير مرض أيضا.. وزادت شكوى المدرسات منها لعدم تقدمها وإثارة الشغب والفوضى بين التلميذات، وكانت المدرسات يلجأن إلى عقابها وضربها حسب توجيه والديها كى يستقيم أمرها وفق اعتقادهم..

وأخيرًا اضطر والدها إلى عرضها للفحص الطبى النفسى وعلاجها حين ازداد انحراف سلوكها فى المدرسة والمنزل..

استمر علاج «مها» بالجلسات النفسية والأدوية المهدئة، والإرشاد النفسي للوالدين وأوضحت لهم الأخطاء التربوية التى ارتكباها نحو ابنتهما:

- اعتقادهما أن العقاب والعنف السبيل إلى تقويمها.

- استمرار المقارنة بين «مها» وأختها وتعييرها بفشلها - فزادت غيرتها من أختها.

- عدم فهم مدرسات المدرسة لحاجاتها النفسية، الأمر الذى أدى إلى كراهيتها للمدرسة والدولة.

- استمرار سوء معاملة الجميع لها فى المنزل والمدرسة فزاد انحراف سلوكها.

وأوضحت للوالدين بضرورة معاملة (مها) بأسلوب الحب والعطف والتشجيع، وتجنب المقارنة، والاتصال بالمدرسات وتوجيههن إلى تشجيع الفتاة، وإعادة ثقتها بنفسها.

وأخيرًا.. بعد فترة علاج غير طويلة..

استجاب الوالدان للتوجيه النفسي، وشفيت (مها) من السلوك المضطرب، وتحسن سلوكها مع أختها، وزال الشعور بالغيرة، والكراهية لها، وذلك مع استمرار الوالدين في تصحيح ما ارتكباه من أخطاء في حق ابنتهما.. وتشجيعها بذكر النواحي الطيبة فيها وتنميتها..

وأخيرًا:

ينبغي على الآباء والأمهات - مهما كانت الفروق بين الإخوة - عدم إثارة الموازنات المؤدية إلى الغيرة - بل ينبغي المساواة في المعاملة بين الأبناء وتشجيع تنمية الهوايات المختلفة كل حسب قدراته وهواياته.. دون تفرقة..

(٧) ابنتي .. تتعثر في الكلام

لجأت إلى الأم ومعها طفلتها «رانيا» البالغة من العمر **تسع سنوات** بقصد علاجها من «**اللجلجة**» **في الكلام** وأعراض مرضية أخرى: **كسرعة الإثارة والغضب**، الميل إلى العزلة والخجل، **والثورة أحيانا والعناد أحيانا أخرى**، يضاف إلى ذلك **تأخرها الدراسي** نتيجة تعثرها في الكلام، الأمر الذي كان يؤدي في النهاية إلى عقابها وضربها والسخرية منها أمام زميلاتها في المدرسة وأخوتها في المنزل..

وبدراسة الحالة: تبين أن الابنة «رانيا» أولى الأبناء الذين رزق بهم والداها، فنالت في خلال سنواتها الأولى من عمرها حبهما وحنانهما، وبفضل يسرهما المالي ودخلهما الوفير كانت تنعم بكافة ألوان الرخاء والرفاهية.. ولكن هذا العهد لم يستمر طويلاً..

حملت الأم للمرة الثانية أنجبت صبيًا تحققت به آمالهما الدفينة في أن يكون لهما ابن آخر يقف بجوارهما في مواجهة الحياة، ويعين أباه في شيخوخته، ويخفف عنه أعباء العمل.. وجاء الطفل لطيفًا، حلو الشمائل فاستحوذ على قلب أمه، ولم يترك بذلك القلب مكانًا ولو صغيرًا لأخته الكبرى وظل قرّة عين والديه.. وبعد أن كانت تجلس على عرش الحب في أسرتها أصبحت تجد نفسها محرومة من جميع ما كانت تتمتع به من قبل، لانشغال الوالدين بالطفل الجديد بل عن كل شيء سواه..

وجدت «رانيا» نفسها وحيدة، لا يشعر أحد بوجودها، وأن الأحباب انصرفوا عنها، دفعها ذلك إلى التمرد على والديها وعصيان أوامرهما على سبيل الانتقام، وبدأ يظهر عليها التعثر في الكلام بعد ولادة أخيها، أي عندما بدأ اهتمام الوالدين بالمولود الجديد..

وحين زادت اللعثمة في كلامها والاضطراب في سلوكها وتعثرها الدراسي تنبه الوالدان إلى ضرورة علاجها نفسيا.

مما سبق نجد أن حالة (رانيا) حالة طفلة حساسة أصيبت بطعنة نفسية حين فقدت اهتمام والديها، ولم يعد لها مكان فى قلبهما بعد ولادة الأخ الجديد.. فأصيبت بالاضطراب النفسى الذى ظهر فى صورة الأعراض المذكورة أعلاه..

قمت بعلاج هذه الطفلة: بجلسات نفسية كى أعيد إليها ثقتها بنفسها وأجنبها الشعور بالنقص. وأوضحت للوالدين الأخطاء التربوية التى ارتكباها فى حقها، ووجهتهما إلى كيفية التعامل معها.

فاستجاب الوالدان إلى هذه التوجيهات، وأعادا إليها الاهتمام بها ومنحاها حبهما وحنانهما فبدأت الابنة تتحسن سلوكيا، وبدأ كلامها أيضا يتحسن تدريجيا..

وبعد فترة قصيرة من العلاج الذى كان تدعمه **بعض الأدوية المهدئة** التى تساعد على تخفيف الصراعات النفسية التى كانت تعانى منها (رانيا).. **بدأت اللجلجة تختفى تدريجيًا، وتحسن سلوكها**، وتوقفت اتجاهات العناد والكراهية لمن حولها.. **وتحسن تحصيلها الدراسى** إلى حد كبير.. وأصبحت محبوبة من الجميع فى المدرسة والمنزل، نتيجة العلاج وتعاون المنزل والمدرسة نحو تشجيعها ورعايتها نفسيًا، وإغداق الحب والحنان اللذين حرمت منهما فترة طويلة..

(٨) ابنى .. ومرض الفصام

الاكتشاف المبكر للاضطرابات النفسية والعقلية فى الطفولة يساعد على سرعة الشفاء والوقاية من الاضطرابات العقلية مستقبلاً.. ولاسيما مرض الفصام..

يعتبر **مرض الفصام** فى مرحلة المراهقة، **مرضًا عقليًا خطيرًا**، معوقا إذ يسبب ظهور كثير من الأعراض التى تؤثر على شخصية المريض وسلوكه ومستقبله، وتنعكس آثاره على المحيطين.. ومع ذلك فالاكتشاف المبكر والعلاج المبكر يساعدان على التخلص من أعراض هذا المرض.. ويطلق على هذا المرض (**شبزوفرنيا**).

وفيما يلى سوف أوضح حالة «ماجد». حيث جاء والداه يشكوان من **أعراض وسلوكيات غير سوية لاحظاها عليه فى السلوك اليومى**: (وعمره أربعة عشر عاما).

- أصبح **منطويا** يرفض الاتصال بأى من أصدقائه.
- يبدو **مكتئبًا أحيانا**، ويبكى بدون سبب واضح.. وتفشل كل المحاولات فى تهدئته.
- **يرفض الاستحمام** أو النظافة الشخصية بأية صورة.
- **يرفض الطعام** لاعتقاده بأنه يحتوى على سموم للتخلص منه.

- يكلم نفسه لسماعه أصواتا تحدثه فيستجيب لها بالكلام.
- تنتابه **نوبات هياج وصراخ**، وتحطيم بعض الأشياء بالمنزل.

يعانى من الأرق لخوفه من سماع الأصوات التى تهدده أحيانا فيؤدى ذلك إلى الصراخ وعدم القدرة على النوم.. الأمر الذى كان يؤدى أحيانا إلى ضربه بقسوة من الوالدين، كى يتوقف عن هذا السلوك المزعج للجميع فى كل تصرفاته.

وأخيرا لجأ الوالدان إلى الاستشارة الطبية النفسية، وهما فى حالة قلق وألم لوصول ابنهما إلى هذه الحالة غير السوية، وبصورة مفاجئة دون أن يعلما سبب ذلك، بعد أن كان سويًا..

وبدراسة حالة «ماجد» : تبين أن هذا الابن كان يعانى منذ طفولته باضطرابات نفسية وسلوكية غير سوية: كان حساسًا، سريع البكاء، كثير الحركة، يميل إلى المشاجرة والعنف مع إخوته وزملائه فى المدرسة، يرفض المذاكرة، أو الاتصال بأى من زملائه.. يميل إلى الانطواء والعزلة..

كانت تصرفاته غير السوية مختلطة بالعناد، والهياج الأمر الذى كان يعرضه للعقاب الشديد فى البيت والمدرسة، واستمرت هذه الأعراض تزداد شدة حتى ظهرت بصورة واضحة فى مرحلة المراهقة، بالصورة المذكورة، والتى كانت السبب المباشر لطلب العلاج..

العلاج الطبى النفسى لهذا الابن كان يشمل:

علاجا دوائيا، علاجا نفسيا، وإرشادًا نفسيا للوالدين، وتوجيههم إلى الطرق الصحيحة للتعامل مع ابنهما.. وبذلك: أمكن مساعدة «ماجد» وأصبح قادرًا على أن يتماسك فى تفكيره، وانفعاله، وسلوكه، وأن يعود لدراسته بصورة منظمة، ويشارك فى الأنشطة الاجتماعية والدراسية بثقة واقتدار.

وبمتابعة سلوكه وملاحظة تصرفاته وتفكيره أمكن التأكد من أنه أصبح طبيعيًا فى كل جوانب الشخصية..

توضح هذه الحالة:

أن: «ماجد» كان يعانى منذ الطفولة من أعراض مرض الفصام (فصام الطفولة) والذى ظهرت أعراضه بوضوح فى مرحلة المراهقة، فى حين أنه لو عولج فى مرحلة الطفولة عند بدء ظهور الأعراض غير السوية، لأمكن وقايته من أعراض هذا المرض فى مرحلة المراهقة.

مما سبق يتضح لنا: أهمية الاكتشاف المبكر للاضطرابات النفسية والعقلية للأطفال وعلاجها على وجه السرعة.. الأمر الذى يحميهم من الاضطرابات النفسية والعقلية مستقبلا.

(٩) ابنتى .. تعانى الإغماء المتكرر

إذا لاحظ الوالدان أن ابنهما تصيبه نوبات إغماء أو تشنج أو سرحان، أو فقدان الوعي وسقوط على الأرض، أو دوخة تسقطه، أو عدم قدرة على التركيز فى الدراسة، أو تنتابه نوبات سلوك غير طبيعى، كالهياج أو كثرة الحركة أو الاعتداء على الآخرين أو يتكلم أو يمشى أثناء النوم..

فعلى الوالدين الالتجاء إلى المشورة الطبية النفسية للعلاج بصورة مبكرة كى يساعدا ابنهما أو ابنتهما على التخلص من هذه الأعراض حتى يتمكن من التجاوب فى الدراسة والتكيف فى الحياة بصورة طبيعية..

جاء الوالدان لعلاج ابنتهما البالغة من العمر عشرة أعوام، حيث كانت تعانى من نوبات تشنج تفقد فيها الوعى، وتستمر دقائق فى حالة إغماء بعد سقوطها على الأرض لا تدرك شيئًا مما يدور حولها.. وبعد ذلك إما تستعيد وعيها وإمَّا ينتابها نوم عميق.

تكررت هذه النوبات، الأمر الذى أدى إلى أن المدرسة تكررت شكواها لحدوث هذه النوبات فى الفصل، مما يعرض الفصل للفوضى، فيتعطل بذلك باقى التلاميذ نتيجة ذلك وطلبت المدرسة بقاءها فى البيت حتى يتم شفاؤها..

وبدراسة الحالة: تبين أن هذه الابنة كانت تعـانى مـن (نوبـات صرعية) وأكد ذلك رسم المخ. تعرض الشخص لنوبات تشـنج متكـررة مفاجئة، يفقد فيها الوعى، ويسقط على الأرض، فى أى مكـان وفـى أى زمان. تعرضه للأذى..

كـانت الابنـة تعـانى نفسيا نتيجـة إصابتـها بـهذه النوبـات، فكـانت تميـل إلى الوحـدة وتشـعر بـالخجل، وعـدم الثقـة بـالنفس، والخوف من السقوط أرضا وإصابتها بسجحات وجروح..

بدأت تتعثر فى الدراسة، وتعانى من صعوبة التركيز.. وعدم فـهم ما تقرؤه رغم المجهود الذى كانت تبذلـه للاستيعاب.. الأمـر الـذى ألجأ الوالدين إلى العـلاج ومسـاعدتها علـى التخلـص مـن الخـوف.. والأعراض المصاحبة للتشنجات.

وبعـد فـترة عـلاج قصـيرة: بالأدويـة، والجلسـات النفسـية، والمتابعة، وتوجيه الوالدين وابنتـهما بضـرورة الالـتزام بتوجيـهات العلاج وفق نظام دقيق.. حتـى يمكنـها التخلـص مـن هـذه النوبـات نـهائيا..

استجاب الوالدان والابنـة لهـذه التعليمـات العلاجيـة، وأمكـن تخلص الابنة من هذه النوبات، واستعادت ثقتها بنفسـها، وأخـذت تتقدم دراسيًا تقدما ملموسًا كما أفاد بذلك مدرسوها بالمدرسـة.. الأمـر الذى أسعد والديها والتزما بالمواظبة على العلاج بصورة دقيقة.

وأخيرا:

فإن مرض الصرع ليس مأساة كبيرة تفسد حياة المريض أو تعطله عن عمله النافع أو تدعو إلى التعثر فى الدراسة أو عـدم التكيـف مـع الحياة.. ولو اتسمت النظرة لهذا المرض بالتوجيـه الصحيـح: طبيـا، ونفسيًا، واجتماعيًا، وتأهيليا، لانتقل الألوف من المرضى إلى صفـوف العاملين، ولأشرقت فى حياتهم وحياة أهلهم روح التفاؤل والأمل بعد طول اليأس والاكتئاب، ولاسـيما أن الاكتشـاف المبكـر يسـاعد علـى ذلك كثيرًا، والعلاج بمجـرد ظـهور الأعـراض، ولاسـيما فـى مرحلـة الطفولة كى يمكن مساعدة الأبناء على التجاوب فى الدراسـة بصـورة طبيعية، والتكيف مع الحياة دون صعوبات.

(١٠) ابنى .. متعثر دراسيًا

«جهل الوالدين ببعض المبادئ التربويـة فـى التنشـئة النفسية للأبنـاء، وعـدم إدراكـهما بمـا لديـهم مـن قـدرات، وإمكانيـات يتعهدونها بالرعايـة، يـؤدى إلى الإسـاءة البالغـة التـى تصيبـهم فـى حياتهم الحاضرة والمستقبلة».

جاءت الأم تطلب المشورة الطبية النفسية لعلاج ابنها البالغ مـن العمر سبع سنوات حيث إنه: **غير متجاوب فى الدراسـة، عنيـد، غـير مطيـع، يميـل إلى المشاكسـة وإيـذاء الغـير، غـير قـادر علـى**

التركيز فى الدراسة، وزادت شكوى المدرسين منه لعدم قدرته على الانتباه فى الفصل..

وبدراسة الحالة: تبين أن الابن «سامح» الطفل الثانى فى الترتيب بالنسبة لإخوته حيث الابنة الأولى (غادة)، وكانوا مشوقين إلى ولادة ابن ذكر، وكانت صحة الأم أثناء الحمل جسميًا ونفسيًا جيدة.. وولادته سريعة غير متعثرة..

كانت طفولته طبيعية من ناحية النمو فى المشى والكلام.. حتى إنه فى بعض الأحيان كان يبدو عليه ذكاء أكبر من سنه: إلا أن حالته الصحية كانت من الدقة بحيث يحتاج إلى ملاحظة دائمة وعناية خاصة.. فكان يلقى العناية أثناء السنوات الأولى التى قضاها فى البيت مع أخته التى تكبره بعام واحد.. تحت إشراف طبى..

ولما بلغ الرابعة من العمر ألحق بالفرقة الأولى فى رياض الأطفال، فأظهر تقدمًا ملموسًا.. وفى نهاية العام نقل إلى الفرقة الثانية.. وكان خلال تلك الفترة يظهر شغفًا قويًا بالمدرسة، وإقبالا كبيرًا، مما أسعد والديه لتوفيقهما فى هذه الناحية.. لذلك فكر الوالدان فى توفير السنة الثانية للروضة.. ونقله إلى السنة الأولى الابتدائى مباشرة.

لم يمض شهر واحد من العام الدراسى فى السنة الأولى الابتدائية.. حتى مرض الطفل مما أدى إلى ملازمته الفراش ثم

مضـى شـهر تلـو الآخـر، والطفـل ينتقـل مــن ضعــف إلى ضعــف، ولم يستطع الانتظام فى الدراسة لعدم قدرته على التركيز فى الدراسة التى تفوق قدراته الذهنية بالنسبة لسنه، وكثر تغيبه حتى أصبح من المتعثرين دراسيًا فـى فرقتـه.. وبذلـك حـرم مـن متعـة التفـوق علـى أقرانه، وبدأ يشعر بكراهيته للذهاب إلى المدرسة.. وكـان فيمـا مضـى ممتلئًا باللهفة عليها..

بدأت تظهر عليه أعراض سلوكية مثل العناد، والمشاجرة، وعدم الطاعة.. الخ.

الأمر الذى دفع الوالدين الالتجاء لعلاجه نفسيًا..

مما سبق نجد أن الأخطاء التربوية التـى ارتكبـها الوالـدان فـى حق طفلهما هى:

– **حرمان الطفل من الإحساس بالتفوق والنجاح والثقـة بـالنفس** بنقله إلى السنة الأولى الابتدائية وتوفير السنة الثانية للروضة.

– **لم يدرك الوالدان – أولا وقبل كل شىء أن الطفل مــن حقـه أن يتمتع بطفولته**، وأن ينطلق فى رحابها مرحا لاعبًا.. وأنه فوق ذلك كان «عليلا» **مـن حـق صحتـه عليـه أن تلقـى العنايـة والملاحظـة**.. ولكـن الوالديـن أغفـلا هـذه الحقيقـة وزاد ضغــط الدراســة عليــه.. فلم تتحمل صحتـه هـذا الضغـط.. فتـأخرت حالتـه الصحيـة، وكـثر تغيبه حتى عُد من المتعثرين دراسيًا فى فرقته.

- جهل الوالدين ببعض المبادئ التربوية اللازمة لكل أب وأم كى يستطيعا تقدير مصلحة ابنهما تقديرًا صحيحًا.. الأمر الذى أدى إلى الإساءة البالغة التى أصابت طفلهما جسميا ونفسيًا وسلوكيًا.. حين بدأ يشعر بالنقص الذى ظهر فى سلوكيات مضطربة: كالعناد، والمشاكسة.. الخ كتعويض لما يعانيه من قصور فى الجانب الدراسى.. والضغط النفسى الذى يفوق قدراته الصحية والنفسية.

يضاف إلى ذلك:

عدم فهم الوالدين لحاجاته النفسية فى هذه الحالة العمرية، ومبالغتهما فى عقابه، والإساءة إليه، بسبب ما يرتكبه من أخطاء وانحرافات سلوكية، وعدم تعاونه مع الآخرين..

وسائل العلاج:

استمر علاج «سامح» ثلاثة شهور - ولحسن الحظ كان ذلك فى شهور العطلة الصيفية وكان يشمل العلاج: **جلسات نفسية، وبعض الأدوية البسيطة** للمساعدة على تخفيف الصراعات النفسية الداخلية، **وتوجيه الوالدين وإرشادهم إلى كيفية معاملة الابن** وتنشئته تنشئة نفسية سليمة، كى يستطيع أن يستكمل طريق الحياة الطويل بشخصية متزنة قادرة على مواجهة الحياة بكل صعوباتها.

وأخيرا: تم الشفاء للطفل من الناحية الجسمية والنفسية:

وبدأ بداية طبيعية فى العام الدراسى الثانى، وأخذ يسير فى دراسته بخطى متزنة، وتوقف عن السلوك المخيف فى معاملة المحيطين فى البيت والمدرسة..

فعلى كل من الوالدين أن يدركا ما لدى أطفالهما من قدرات وإمكانيات، فيتعهدونها بالرعاية، ويتيحون لهم التعليم فى جو ملائم يسوده الاستقرار والهدوء.

نـــداء

وأخيرا أود أن أوجه ندائى إلى الوالديـن والمسئولين عـن التنشـئة النفسية للطفل - الأمر الذى تعلمته فـى سـنين مـن خـلال خـبراتى ودراسـاتى وتعـاملى مـع الأسـوياء والمضطربـين نفسـيا وعقليـا، وقـد استلزم ذلك مدة طويلة، وإنى لا أزال أتعلمـه حتـى الآن - هـو أنـه عندما يولد طفل ومـهما واجـه الوالـدان مـن مشـكلات ومتـاعب فـى تنشئته فيجب عليهما أن يتذكـرا أن للطفـل حقـا فـى الحيـاة مـهما كانت تلك الحياة، وأن له الحق فـى السـعادة التـى يجـب توفيرهـا له..

فقد وجد أنه لا يمكن أن يتعلم الطفل شيئا إلا إذا كان عقله وقلبه متحررين من الشقاء. **فالطفل الوحيد الذى يمكنه أن يتعلم هو الطفل السعيد.**

باسم آلاف الأطفـال الذيـن يعـانون مـن سوء المعاملـة فـى المـنزل والمدرسة والمجتمع بصفة عامة، أتمنـى التعـرف علـى ماهيـة الطـب النفسى للأطفـال وأهميتـه. حيـث يعتـبر الأسـاس الـذى تقـوم عليـه الصحـة النفسـية، لأنـه يقـوم إلى جـانب مهمتـه العلاجيـة بمهمـة وقائية، بل لعل عمله العلاجـى هـو فـى صميمـه عمـل وقـائى. مـن

حيث إنه يمنــع الانحـراف البسـيط مـن أن يغـدو مـع الزمـن وسـوء المعاملة والرعاية اضطرابا كبيرا وخطيرا.

فـالطب النفسـى للأطفـال أصبـح ضـرورة جوهريـــة لا ســبيل إلى الاستغناء عنها أو التساهل فيها، إذا شئنا أن ننهض بواجبنـا كـاملا إزاء الطفل وإزاء الوطن على حــد سـواء، أى إذا شـئنا أن نعـد طفـل اليوم لتحمل تبعات الغد مع القدرة على أن ينعم بحياته معا.

وأخيرا: يتفق معظم المشتغلين فى عالم الطفولة بأن معظم مشــاكل الطفولة النفسية والسلوكية والتعليمية، يمكن إلى حــد كبـير علاجـها بمحاولة تقليل النواحى غير السوية فى الأسرة والمدرسة والمجتمـع، والذى زاد انتشارها أخيرا.

ويمكن توفير الصحة النفسية للأبناء بتجنب كل ما يُسـىء إليـهم لوقايتهم من الاضطرابات النفسية والسلوكية..